السنة الحادية والأربعون وثلاث مئة[١]

فيها اطَّلَعَ أبو محمد المُهَلَّبي على جماعة من التَّناسُخِيَّة، فيهم غلامٌ شاب يَزْعم أنَّ روح علي بن أبي طالب رضوان الله عليه انتقلت إليه، وفيهم امرأة يقال لها: فاطمة تزعم أنَّ روح فاطمة عليها السلام انتقلت إليها، وفيهم فتًى من بني بسطام يدَّعي أنه جبريل عليه السلام، فضُربوا وقُرِّروا، فتعزَّزوا بالانتماء إلى أهل البيت، فأمر معز الدولة بإطلاقهم لميله إلى أهل البيت[٢].

وفيها دخلت الرّوم مدينة سَروج من ديار ربيعة، فقتلوا وأسروا وسَبَوا، وأحرقوا المساجد، وأخربوا البلد.

وحج بالناس أبو محمد العَلَوي، وقيل: كنيتُه أبو عبد الله أحمد بن عمر بن يحيى العَلَويّ. وجرت بينه وبين المصريين وَقْعةٌ قُتل فيها جماعة، وكان الظَّفَر للعلوي، فأقام الحجَّ، ودعا لمُعزّ الدولة [على منبر مكة والمدينة وفي الموسم].

وفيها توفي

أحمد بن محمد

ابن زياد بن بِشر بن دِرْهَم، أبو سعيد، ابن الأعرابي[٣].

بصري الأصل، نزل مكة، وجمع علوم الصوفية، وصنَّف الكتب.

وكان زاهداً، عابداً، ورعاً، وصار شيخَ الحرم، وصحب الجُنَيْدَ، والنُّوري، والمُسوحي وغيرهم، ومات بمكة في ذي القعدة، وأسند الحديث.

---

(١) في (م): بعد الثلاث مئة.

(٢) المنتظم ١٤/ ٨٧، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٥٥، وهذا الخبر ليس في (م ف م١).

(٣) طبقات الصوفية ٤٢٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٥، الرسالة القشيرية ١١٦، تاريخ دمشق ٢/ ١٧٠ (مخطوط)، المنتظم ١٤/ ٨٨، مناقب الأبرار ٢/ ١٤٦، تاريخ الإسلام ٧/ ٧٣٣، السير ١٥/ ٤٠٧. وهذه الترجمة ليست في (م ف م١).

وقال: الوَعْد والوَعيد من الله، فإذا كان الوعد [قبل الوعيد] فالوعيد تهديدٌ، وإذا كان الوعيد قبل الوعد، [فالوعيد] منسوخ، وإذا اجتمعا فالغَلَبَةُ للوَعْد لأنه حقُّ العبد، والوعيدُ حقُّ الله تعالى، والكريم يتغافلُ عن حقِّه[١].

وقال: إنَّ الله تعالى جعل نعمتَه سبباً لمعرفته، وتوفيقَه سبباً لطاعته، ورحمتَه سبباً للتوبة.

وقال: إنَّ الله طيَّب الدنيا للعارفين بالخروج منها، وطيَّب الجنةَ لأهل الجنة بالخلود فيها، فلو قيل للعارف: إنَّك تبقى في الدنيا لمات كَمَداً، ولو قيل لأهل الجنة: إنكم تخرجون منها لماتوا كمداً، فطابَت الدنيا بذكر الخروج منها، وطابَت الجنةُ بذكر الدُّخول فيها.

وقال: مَدارِجُ العلوم بالوسائط، ومدارج الحقائق بالمُكاشفة.

وسئل عن أخلاق الفقراء فقال: أخلاقُهم السُّكوت عند الفقد، والاضطراب عند الوجود، [والأنس] بالهموم[٢]، والوحشة عند الأفراح.

وقيل: إنه مات في السنة الماضية[٣].

[وفيها توفي]

أحمد بن محمد

الواعظ، أبوالعباس، الدِّيْنَوَري[٤].

ورد نَيْسابور، وأقام بها مدةً، وكان من أفتى المشايخ وأحسنهم طريقةً، وكان [يعظ الناس] ويتكلَّم على لسان أهل المعرفة بأحسن كلامٍ، ثم دخل إلى سَمَرْقَنْد فأقام بها إلى أن توفي.

---

(١) ما بين معكوفين من طبقات الصوفية ٤٢٩.

(٢) في طبقات الصوفية ٤٣٠ وما بين معكوفين منها: السكون عند الفقر...

(٣) ذكر ذلك ابن عساكر والذهبي.

(٤) طبقات الصوفية ٤٧٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٣، الرسالة القشيرية ١٢٣، مناقب الأبرار ٢/ ١٩١، تاريخ الإسلام ٧/ ٩١٧.

[حكى عنه ابن خميس في «المناقب» أنه] تكلّم يوماً، فصاحت عجوزٌ في مجلسه، فقال لها أبو العباس: موتي، فقامت وخَطَت خُطُواتٍ، ثم التفتت إليه وقالت: ها قد متُّ، ووقعت ميتةً[1].

وقال: مُكاشَفات الأعيان بالأبصار، ومُكاشَفات القلوب بالاتّصال.

وقال: العلمُ علمان: علمُ قيام العبد مع الله تعالى، وعلمُ الله في العبد، وهو المُغَيَّب عن العباد؛ إلا مَن كُشِف له عن طُرُقٍ منه مثل نبيٍّ أو وَليٍّ.

ولما أراد الخروج من نَيْسابور قيل له: ما الذي يَحملُك على الخروج منها مع محبَّة أهلها لك؟ فقال: [من الكامل]

إذا عَقَدَ القضاءُ عليك عَقْداً ... فليس يَحُلُّه إلا القضاءُ
فما لك قد أَقَمْتَ بدار ذُلٍّ ... وأرضُ اللهِ واسِعةٌ فَضاءُ

وكان ينشد[2]: [من الطويل]

رأيتُكَ يُدنيني إليك تَباعُدي ... فباعَدْتُ نفسي لابتغاء التقرُّبِ

وكان يقول: نَقَضُوا أركان التصوُّف، وهَدموا سبُلَها، وغيَّروا معانيها بأسامي أحدثوها، فسَمَّوا الطمعَ زيادةً، وسوءَ الأدب إخلاصاً، والخروجَ عن الحقِّ شَطْحاً، والتلذُّذَ بالمَذْموم طِيبةً، واتِّباعَ الهوى بَلْوى، والرُّجوعَ إلى الدنيا وصولاً، وسوءَ الخُلُق صَولةً، والبخلَ جَلادةً، والسؤالَ عَملاً، وبذاءةَ اللسان ملامةً، وما كان هذا طريق القوم.

ثالثُ الخلفاء المصريين

إسماعيلُ بن محمد بن عُبَيد

ويُلقَّب بالمنصور[3].

---

(١) مناقب الأبرار ٢/ ١٩٢.

(٢) في (م ف م١): مع محبة أهلها لك فقال: إذا عقد القضاء عقداً ما يحله غير القضاء ثم أنشد في المعنى: إذا عقد القضاء... قال وكان ينشد: فما لك قد أقمت... وقال أيضاً، والمثبت من (خ).

(٣) الكامل ٨/ ٤٩٧، والسير ١٥/ ١٥٦، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٦٧، والمقفى الكبير ٢/ ١٢٩.

ولد بالمَهْدِيَّة من أرض المغرب سنة اثنتين وثلاث مئة أو إحدى وثلاث مئة.

وكان فاضِلاً، فَصيحاً يخترعُ الخُطَبَ ويَرْتَجلُها لوقته، ونزل المنصورة مدينةً بناها واستوطنها.

ولما مات أبوه بالمَهْدِيَّة في حصار أبي يزيد بن كَيداد كلَّمه الناس في حُسن السيرة، وشكوا إليه ما كان عليه أبوه، فضَمِن لهم أن يغيِّر سيرة أبيه وجدِّه، وحلف على ذلك.

وكان ابن كيداد قد أظهر مذهب الإباضِيَّة، فكَرِهَه الناس، وأقام خمس سنين مُستولياً على البلاد، فخرج إليه إسماعيل من المَهْدِيَّة فحاربه، فلم يزل حتى أخذه أسيراً، فحبسه في سنة ستٍّ وثلاثين، فمات في حبسه، فسلخ جلده وحشاه تِبْناً، ثم صلبه وحَرَّقه بالنار، ثم وفى للناس بما حلف عليه، وبَقِّى ولاة أبيه، وأقام التَّراويح والسُّنن.

ثم مات يوم الجمعة وعمرُه تسعٌ وثلاثون سنة، فكانت ولايتُه سبعَ سنين، وقام بعده ولدُه المُعزّ، فسار في الناس بسيرة أبيه، فأحبَّه الناس، وصفَت له المغرب، وهو الذي خرج إلى مصر، وسنذكره إن شاء الله تعالى في سنة خمس وستين وثلاث مئة[1].

[وفيها توفي

إسماعيل بن محمد بن إسماعيل

أبو علي، الصَّفَّار، النَّحْوي[2].

قال الدَّارقطني: صام إسماعيل أربعةً وثمانين رمضاناً، وكان من أهل السنة.

وتوفي في المحرَّم، ودفن عند قبر مَعْروف الكَرْخي بينهما عرض الطريق، وكان صالحاً، ثقةً، مأموناً، ورِعاً.

---

(١) من قوله: وكان يقول: نقضوا أركان التصوف... إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٣٠١، والمنتظم ١٤/ ٨٨، ومعجم الأدباء ٧/ ٣٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٦٦، والسير ١٥/ ٤٤٠، وهذه الترجمة ليست في (خ).

وفيها توفي]

الحسن بن أحمد

أبو علي المقرئ [، ويعرف بابن الكاتب المصري][1].

من كبار مشايخ مصر [له الكلام الحَسَن، والعبارة الحُلوة، والإشارة اللَّطيفة.

حكى أبو نعيم الأصبهاني عنه أنه] قال: إذا انقطع العبدُ إلى الله بالكلِّية فأول ما يفيده الاستغناء به عن مَن سواه.

وقال: يقول الله تعالى في بعض الكتب: مَن صبر علينا وصل إلينا.

وقال: إذا سكن القلبَ الخوفُ لم يَنطق اللسانُ إلا بما يَعنيه.

[وحكى السُّلَمي عن ابن الكاتب أنه] قال: روائحُ المحبَّة تفوح من المُحبِّين وإنْ كتموها، وتظهرُ دلائلُها عليهم وإنْ سَتَروها [وتبدو عليهم وإن أخفَوها، فهذه إشارة الأحباب] وأنشد: [من الطويل]

إذا ما أسرَّتْ أنْفُسٌ[2] القوم ذكرَه ... تبيَّنْتَهُ فيهم ولم يَتكلَّموا

تطيبُ به أنفاسُهم فيُذيعُها ... وهل سِرُّ مِسْكٍ أُودِعَ الرِّيحَ يُكتَمُ

وقيل: إنَّه مات سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة[3] [، صحب أبا علي الرُّوْذَباري، وأبا عثمان المغربي، وكان المغربي يُعظِّمه ويُوَقِّره.

وفيها توفي

محمد بن النَّضْر

ابن مُرّ بن الحُرّ، أبو الحسن، المقرئ، الدمشقي، ويُعرف بالأخْرَم[4].

---

(١) طبقات الصوفية ٣٨٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٠، الرسالة القشيرية ١١٣، مناقب الأبرار ٢/ ١٠٦، المنتظم ١٤/ ٩٠.

(٢) في (م ف م١): ألسن. والمثبت من (خ)، وهو الموافق للمصادر.

(٣) وكذلك أورده ابن الجوزي في المنتظم في وفيات سنة (٣٤٣هـ).

(٤) تاريخ دمشق ٦٥/ ١٢٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٧٣، والسير ١٥/ ٥٦٤. وهذه الترجمة ليست في (خ).

قرأ القرآن على هارون بن موسى الأخفش وغيره، وقرأ عليه علي بن داود الداراني، وكان صالحاً.

وقال الحافظ ابن عساكر: مات في يوم صائف بدمشق، فلما أخرجت جَنازته جاءت سحابة فأظلَّت الجنازة حتى دُفن.

وفيها توفي]

أبو الخَيْر التِّيْناتي

[ولا يعرف اسم له] وقيل: اسمُه حَمّاد بن عبد الله[1].

أصلُه من المغرب، وسكن تِيْنات قرية من قرى أنطاكية.

[كذا ذكر ابن خَميس، وقال الصُّولي: قرية على] أميال[2] من المِصِّيصَة، وأقام بلبنان مُدَّةً.

[كان صاحب كرامات وآيات وإشارات، وكانت السِّباع والوحوش تأنَس به، وأثنى عليه الأئمة، وذكر كراماته السُّلَمي، وابن خَميس، وابن جَهْضَم، وأبو نُعيم، والحافظ ابن عساكر، حتى قال في «تاريخه»: كان أبو الخير من العُبَّاد المشهورين، والأولياء المذكورين.

وقال القُشَيري: كان كبير الشأن، وكان يُسمَّى الأقْطَع لأنَّ يده كانت مقطوعةً.

ذكر سبب قطع يده:

كان إذا سئل عنها يقول: هذه يدٌ جَنَت فقُطِعت، وذكر سبب قطعها السُّلَمي وابن جَهْضَم وأبو نُعيم وابن خَميس في «المناقب» وابن عساكر، وغيرهم.

---

(١) وقيل: عباد بن عبد الله، كما في معجم البلدان (تينات)، وانظر ترجمته في: طبقات الصوفية ٣٧٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٧، الرسالة القشيرية ١١١، المنتظم ١٤/ ٩٦، مناقب الأبرار ٢/ ٨١، تاريخ الإسلام ٧/ ٩١٧، السير ١٦/ ٢٢، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٥٨.

(٢) في (خ): أنطاكية وقيل هي أميال، والمثبت من (م ف م١).

حدثنا غير واحد عن أبي الفَضْل محمد بن ناصر بإسناده، عن بكر بن محمد قال: كنتُ عند أبي الخير بالتِّينات، فباسَطَني] فحادثتُه[١]، فذكر بدايتَه، فهَجَمتُ[٢] عليه وسألتُه عن سبب قَطْع يده، فقال: يدٌ جنَت فقُطِعَت، ثم سكت، واجتمعتُ به بعد ذلك بسنين مع جماعة من الشيوخ، فتذاكروا مواهبَ الله تعالى لأوليائه، وأكثروا ذكرَ الكرامات وقَطْعَ المسافات[٣]، فتَبَرَّم الشيخ وقال: كم تقولون: فلانٌ مشى في ليلة إلى مكة، وفلان مشى في يوم، وأنا أعرفُ عبداً [حَبَشيًّا] من عبيد الله كان جالساً في جامع طَرابُلُس ورأسُه في مُرَقَّعَته، فخطر بباله طِيب الحَرَم، فقال في سرِّه: يا ليتني فيه، فأخرج رأسه وإذا به فيه.

وأمسك عن الكلام، وتغامَزَ الجماعةُ، وأجمعوا على أنه ذلك الرجلُ؛ فسأله واحدٌ عن سبب قطع يده فقال:

خرجتُ من المغرب، فأقمتُ بالإسكندرية اثنتي عشرة سنة [، ثم انقلبتُ[٤] إلى مكان بين شَطا ودِمْياط، فأقمتُ فيه اثنتي عشرة سنة] أتقوَّتُ بعُروق البَرْدي، أَنبُشُه من تحت التراب، فآكلُ العِرْقَ الأبيض وأرمي بالباقي، وفي رواية: وكنتُ قد بَنيتُ لي كُوخاً، فكنتُ أجيءُ من ليل إلى ليل، وأفطر على ما نَفَضه المُرابطون، وأُزاحم الكلابَ على قُمامة السُّفَر، فنُوديتُ في سرِّي: يا أبا الخير، تَزعُم أنك لا تُزاحم الخلقَ في أقواتهم، وتُشيرُ إلى التوكُّل، وأنت في وسط المعلوم جالس؟ فقلتُ: إلهي، وعِزَّتك لا مَدَدتُ يدي إلى شيءٍ مما تُنبتُه الأرضُ حتى تكونَ أنت الذي توصل إليَّ رزقي من عندك [من حيث لا أكون أنا فيه].

فأقمتُ اثني عشر يوماً أُصلِّي الفَرْض [، وأتَنَفَّل، ثم عجزتُ عن النَّافلة، فأقمتُ أُصلّي الفرضَ والسُّنة اثني عشر يوماً، ثم عجزت عن السنة، فأقمتُ اثني عشر يوماً

(١) في (خ): وكان من العباد المشهورين والأولياء المذكورين صاحب كرامات وآيات وإشارات، ويسمى الأقطع لأن يده كانت مقطوعة، وكانت الوحوش والسباع تأنس به، قال بكير بن محمد كنت عنده بالتينات فبسطني، والمثبت من (م ف م١).

(٢) في (م ف م١): فتقحمت.

(٣) في (م ف م١) بعدها: وقد ذكرها في المناقب أيضاً قال.

(٤) في (م): انتقلت.

أصلي الفَرْض] لا غير، ثم عجزتُ عن القيام، فأقمتُ اثني عشر يوماً أُصلّي الفرضَ قاعداً، فعجزتُ عن الجلوس، فلجأتُ بسرِّي إلى الله تعالى وقلتُ: إلهي، ضَمِنتَ لي رزقاً، وافترضْتَ عليَّ فرضاً تسألني عنه، فتفضَّل عليَّ برزقي لأقومَ بفرضك [حتى لا أعجز]، فوَعِزَّتك لأجتهدَنَّ أن لا أَحُلَّ عَقْداً عَقَدْتُه معك، وإذا بين يدَيَّ [قُرْصان أو] رَغيفان بينهما شيءٌ، فكنت آخذهما دائماً من ليل إلى ليل.

ثم طُولبتُ بالمَسير إلى ثَغْر الشام[1]، فسرتُ حتى دخلتُ الفَرَما، فوجدتُ في جامعها قاصًّا يذكرُ قصةَ زكريا عليه السلام والمِنْشار، ودخولَه إلى الشجرة، وأنَّ الله أوحى إليه حين نُشِر: لئن تأوَّهْتَ أو صَعِدَت إليّ منك أنَّةٌ لأَمْحُوَنَّك من ديوان النبوة، فصبر حتى قُطع نصفين، فقلت [: لقد كان زكريا صابراً، ثم قلت] في نفسي: إلهي لئن ابتليتَني لأَصبِرَنَّ.

وسِرتُ فدخلتُ أنطاكية[2]، فرآني بعضُ إخواني وعلم أنِّي أريد الثَّغْرَ، فدفع إليَّ سيفاً وتُرْساً وحَرْبةً للسَّبيل، وكنتُ أحتشمُ من الله أن أُرى وراء سور خِيفةً من العدوّ، فخرجتُ إلى غابةٍ هناك، فكنتُ أكون فيها بالنَّهار، وأخرجُ بالليل إلى ساحل البحر، فأَغْرِزُ الحَرْبَة في الأرض، وأُسند التُّرْسَ إليها، وأتقلَّد السيف وأُصلّي إلى الغَداة، فإذا صليتُ الصُّبحَ غَدوتُ إلى الغابة فكنتُ فيها نهاري، والقُرْصان يَحضُران عندي كلَّ ليلة.

فخرجتُ يوماً أمشي في الغابة، وإذا بشجرة بُطْم، [بعضه] قد بلغ، وبعضُه أخضر، وبعضه أحمر، وقد وقع عليه النَّدى وهو يَبْرُق، فاستحسنتُه، وأُنسيتُ عهدي مع الله تعالى، فمَدَدتُ يدي فقطعتُ منها عُنقوداً، وجعلتُ بعضَه في فمي، فبينا أنا أَمْضُغُه ذكرتُ العَقْد، فرميتُ به من فمي وقلتُ: جاءت المِحْنةُ، ورميتُ التُّرْسَ والحَرْبةَ، وجَلَسْتُ ويدي على رأسي، فما استقرَّ بي جُلوسي حتى استدار بي فُرْسانٌ ورَجَّالة وقالوا: قم إلى الأمير.

---

(١) في (م ف م١): الثغر بالشام.

(٢) في (م ف م١): قال وسرت حتى دخلت أنطاكية.

وساقوني إلى أمير بين يديه جماعةٌ من السُّودان جماسين[١]، وكانوا يقطعون الطريق في ذلك المكان، فلمَّا رآني وبيدي الحَرْبة والسَّيف والتُّرْس وأنا أسودُ اللون قال لي: إيش أنت؟ قلتُ: عبدٌ من عبيد الله، فظنَّني منهم فقال: أتعرفونه؟ قالوا: لا والله ما رأيناه قبل اليوم، قال: بلى، هو رئيسكم وإنَّما تَفدونه بأنفسكم، لأُقَطِّعَنَّ أيديكم وأرجلكم.

ثم قدَّم واحداً واحداً فقطع يدَه ورجلَه، حتى أتى على آخرهم، ثم قال لي: مُدَّ يدك، فمددتُها فقطعها، ثم قال لي: مُدَّ رجلك، فرفعتُ طَرْفي إلى السماء وقلتُ: إلهي يدي جَنَت فقُطعت، ورجلي إيش عملت؟

وإذا بفارس قد وقف على الحَلْقة، فلما رآني رمى بنفسه إلى الأرض وقال: وَيْحَكم، إيش تريدون أن تفعلوا؟ تريدون أن تنطبق الخضراء على الغَبْراء؟! هذا رجل صالح [يُعرف بأبي الخير المُناجي ـ قال: وكنتُ أُعرف يومئذٍ بالمناجي] فرمى الأميرُ نفسه عن الفرس، وأخذ يدي المقطوعة من الأرض، وجعل يُقبِّلُها ويبكي، وتعلَّق بي وقال: اجعلني في حِلٍّ، سألتُك بالله، فقلتُ: قد جعلتُك في حلٍّ من أوَّل ما قطعتَها، وأنا أعرف ذنبي، وهذه يدٌ جنَت فقُطعت، ثم بكى وقال: أيُّ ذنبٍ أعظمُ من ذنبي، قطعت يدي، وانقطعت عنِّي القرصان.

[وذكر جدي في «الصَّفوة»[٢] وقال: إن أبا الخير كان قد عاهد الله أن لا يأكل من ثمار الجبال شيئاً إلا ما طرحتْه الريح، فخرج إلى جبال أنطاكية، فرأى شجرةَ كُمَّثْرى، فاشتهى منها شيئاً، فأمالتْها الريح، فأخذ منها واحدة فأكلها، وذكر قطع يده.

وذكر جَدّي[٣] أبا الخير وعاب عليه فقال: انظروا رحمكم الله إلى عَدَم العلم كيف صنع بهذا الرجل، وقد كان من أهل الخير، ولو كان عنده علمٌ لعلم أنَّ ما فَعَلهُ حرامٌ عليه.

---

(١) كذا في النسخ ومناقب الأبرار ٢/ ٨٦، ولم أجد لها معنى يناسب هذا السياق، ولعلها بشين معجمة، يعني محلوقي الرؤوس عقوبة، والله أعلم. وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦٤.

(٢) ٤/ ٢٨٢.

(٣) في تلبيس إبليس ٣٠٣، وساق قصته.

قلت: والذي ذكره جدي صحيح، وقد كان قادراً على أنْ يُعرِّفَهم بنفسه، ولو فعل ذلك ما قطعت يده، ثم هذا أمرٌ لا يوافقه الشَّرعُ عليه ولا العقل، أما الشرع فإنه لو سرق جميع فواكه الدنيا لم يجب عليه القَطْع، وأما العقل فالله تعالى أكرم من أن يُعذِّب عبداً على تناول عنقود من البُطْم، وقد كان يكفيه التوبة والاستغفار، ولكن نرجع إلى الأقدار؛ فإنه يحتمل أنه لو عرَّفهم بنفسه لم يُطلقوه، وأنَّ الله طمس على أعينهم حتى أنفذ فيه أمرَه.

وقد روى الحافظ ابن عساكر الحكاية وقال فيها: إنهم لما أخذوني وأنا ساكتٌ، وقد كانوا يعرفونني، ولكنْ طمس الله على قلوبهم حتى أنفذ أمره في يدي، قال: فلما أرادوا أن يقطعوا رجلي كشف الله لهم فعرفوني[١]، وكلُّ مَقدورٍ كائن لا مَحالَة.]

وقال ابن عساكر في تمام الحكاية: قال أبو الخير: ثم أغْلَوا الزَّيت ليدي فلم أفعل، ودخلتُ غاراً فبتُّ فيه بليلةٍ عظيمة، فرأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام، فأخذ يدي المقطوعة فقبَّلها، فأصبحتُ ولا أجدُ للقطع ألَماً وعوفيتُ[٢].

[قلتُ: وقد عوَّضه الله، وكان يَسُفُّ الخُوصَ باليد المقطوعة، فذكر جدي في «المنتظم» عن محمد بن الفضل قال:][٣] خرجتُ من أنطاكية إلى التِّينات، فدخلتُ على أبي الخير على غَفْلة [منه بغير إذن]، فإذا هو يسفُّ زَنْبيلاً بيده[٤]، فعجبتُ، ونظر إليَّ وقال: يا عدوَّ نفسِه، ما الذي حملَك على هذا؟ قلتُ: هَيَجان الوَجْد لِمَا بي من الشَّوق إليك، فضحك ثم قال لي: اقعُد ولا تَعُد إلى مثلها، واستر عليَّ أيام حياتي.

[وروى الحافظ ابن عساكر عن] إبراهيم بن عبد الله قال[٥]: دخلت على أبي الخير مسجدَه وهو يحدِّث شخصاً، فقال: اخرج ورُدَّ الباب، فخرجتُ وجلستُ على الباب طويلاً، وكانت لي إليه حاجةٌ فقلت: إنْ كانا في سرٍّ فقد فَرَغا، فدخلتُ فلم أجد عنده

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦١.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦١ ـ ٢٦٢، وما سلف ويأتي بين معكوفات من (م ف م١).

(٣) ما بين معكوفين من (م ف م١)، وجاء بدلها في (خ): وقال محمد بن الفضل، والخبر في المنتظم ١٤/ ٩٦ ـ ٩٧.

(٤) في (م): يسف الخوص، وبيده زنبيل يعمل فيه.

(٥) في (خ): وقال إبراهيم بن عبد الله، والمثبت من (ف م م١)، والخبر في مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦٩.

أحداً، فقلتُ: وأين الشخصُ الذي كان عندك، ما رأيتُه خرج من الباب؟! فقال: مثل هذا لا يخرجُ من باب، قلتُ: لعلَّه الخَضِر؟ قال: نعم، فبكيتُ وقلتُ: ياليتَني سلَّمتُ عليه وسألتُه الدعاء.

ومضت مدةٌ وفُتح على الشيخ بشيء فقال: خُذه واذهب إلى أَذَنَة، واشتر لنا حوائجَ سمَّاها، فمضيتُ إلى أَذَنَة، واشتريتُ الحوائج، وحملتُها على ظهري في كساء، فتعبتُ، فجلستُ أستريح، وبيني وبين التِّينات ستةُ أميال، فوقف عليَّ شخصٌ وسلَّم علي وقال: يا أخي قد تعبتَ، فناولني لأحملَ عنك، فناولتُه، فحمله إلى قريب التينات وقال: الله معك، وسَلِّم على الشيخ عنِّي، قلتُ: من أقول؟ قال: هو يعرف، فلمَّا دخلتُ على أبي الخير قال: يا إبراهيم: أما استحيَيْتَ حَمَّلْتَ الرجل ستة أميال، فما [حسدتك، و][(١)]قد غَبَطْتني على كلامه واجتماعه بي، فقلتُ: الخضر هو؟ قال: نعم، فبكيتُ، فقال: تبكي إن لقيتَه وإن لم تلقَه؟!

وقال أبو عبد الرَّحمن السُّلَمي[(٢)]: قال أبو الخير: دخلتُ مدينة النبي ﷺ ولي خمسةُ أيام لم آكل شيئاً، فتقدَّمْت إلى القبر، وسلَّمتُ عليه وقلتُ: يا رسول الله أنا ضيفك الليلة[(٣)]، ونمتُ فرأيتُه في المنام، فناولني رغيفاً، فأكلتُ نصفَه، ثم انتبهتُ وفي يدي النصفُ الآخر.

[وحكى عنه ابن باكويه] قال: أقمتُ بمكة سنةً فأصابتني فاقةٌ، فلما أردتُ الخروجَ إلى المسألة هتف بي هاتفٌ: أما تستحي، الوجهُ الذي تبذُلُه لي تبذله لغيري؟!

وقال الأنصاري: دخلتُ[(٤)] على أبي الخير، فناولني تفاحتين وقال: أنا أعلمُ أنَّك ما تحمل مَعلوماً، ولكن احمل هذه، فجعلتهما في جيبي وقلتُ: أتبرَّك بهما، فأصابتني فاقةٌ، فأخرجتُ واحدةً فأكلتُها، ثم أدخلتُ يدي لأخرجَ الأخرى وإذا بالتفاحتين على حالهما، فما

(١) ما بين معكوفين من مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٧٠.

(٢) في (خ): وقال أبو عبد الله السلمي، والمثبت من (م ف م١)، والخبر في طبقات الصوفية ٣٧٠.

(٣) في (م): أنا الليلة في ضيافتك.

(٤) في (م ف م١): وقال أبو بكر المصري حدثني فقير يعرف بالأنصاري [في م: بالأصبهاني] قال دخلت، والمثبت من (خ). وانظر مناقب الأبرار ٢/ ٨٢، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦٠.

زلتُ آكلُ منهما إلى الموصل، فاجتزتُ بخَرابٍ، وإذا بعَليل يُنادي: يا قوم، اشتهيتُ على الله تفاحتين، ولم يكن وقت التفاح، فأخرجتُ التفاحتين ودفعتُهما إليه، فأكلهما ومات، فعلمتُ أنَّ الشيخ إنما أعطاني إياهما من أجله[١].

[وحكى عنه في «المناقب» قال:] قال إبراهيم الرَّقِّي[٢]: أتيتُ لزيارته، فصلَّيتُ خلفه المغرب، فما أقام [الفاتحة]، فقلتُ في نفسي: ضاعت سفرتي، ثم نمتُ فاحتلمتُ، فخرجتُ من البيت أريد النهر [لأغتسل]، وكان البردُ شديداً، فلما نزلتُ النهر وخلعتُ ثيابي جاء السَّبُع فقعد عليها وأطال، وكدتُ أتلَفُ من البرد [ووجدتُ ألمه]، وإذا بأبي الخير قد خرج فصاح على الأسد وقال: أما قلتُ لك لا تتعرَّض لضيفاني، فقام يُهَرْول، فصعدتُ ولبستُ ثوبي، فقال لي: أنتم اشتغلتُم بتقويم الظواهر فخفتُم من الأسد، ونحن اشتغلنا بتقويم البواطن فخافنا الأسد.

وقال إبراهيم: دخل عليه[٣] جماعة من البغداديين، فتكلَّموا في الشَّطْح والدَّعاوى، فضاق صدره، وقام فخرج، فجاء الأسد فدخل البيتَ، فسكتوا وانضمَّ بعضُهم إلى بعض، وخافوا وتغيَّرت ألوانُهم، فدخل عليهم أبو الخير وقال: أين تلك الدَّعاوى؟! ثم صاح على الأسد فخرج من البيت.

وقال[٤]: جاء إبليس إليَّ وأنا أُصلِّي في صورة حَيَّة، فتطوَّق عليَّ في سجودي[٥]، فقبضتُه وقلتُ: يا لَعين، لولا أنك نَجِسٌ لسجدتُ على ظهرك.

[ذكر نبذة من كلامه ووعظه:]

حكى عنه في «المناقب» أنه] قال[٦]: لن يَصفوَ قلبُك إلا بتصحيح النيَّة لله تعالى، ولن يصفو بدنُك إلا بخدمة أولياء الله.

---

(١) في (م): إياهما لأجل ذلك المريض.

(٢) في (خ): وقال إبراهيم الرقي، والخبر في المناقب ٢/ ٨٣، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦٥.

(٣) في (م ف م١): وفي رواية إبراهيم الرقي قال دخل على أبي الخير، والمثبت من (خ).

(٤) في (ف م م١): وحكى في المناقب أنه قال، والخبر ليس في ترجمته في المناقب، ورواه ابن عساكر في تاريخه انظر مختصره ٢٨/ ٢٦٩.

(٥) في مختصر تاريخ دمشق: فتطوق بين يدي سجودي.

(٦) ما بين معكوفين من (ف م م١)، والقول في المناقب ٢/ ٨٢، وطبقات الصوفية ٣٧١.

وقال: حَرام على قلبٍ مأسور بحبِّ الدنيا أن يَسيح في روح الغيب.

وقال: القلوب ظروفٌ، فقلبٌ مملوءٌ إيماناً وعلامتُه الشَّفقةُ على خَلْق الله، وقلبٌ مملوءٌ نفاقاً وعلامته الغِلُّ والحقد والحَسد.

وقال: مَن لم يكن [له] مع الله صحبةٌ دائمة اعترضَت عليه الأحزان، من ظهور المِحَن وتَغيُّر الزَّمان.

وقال: الدَّعوى رُعونةٌ، لا يحتمل القلبُ إمساكَها، فيُلقيها إلى اللسان، فتنطقُ بها ألسنةُ الحَمْقى.

ذكر وفاته:

[حكى السُّلَمي أنه] توفي في هذه السنة، وحكى أيضاً أنه مات في سنة تسع وأربعين وثلاث مئة، وقيل: في نيِّفٍ وأربعين أو ثلاث وأربعين وثلاث مئة[1]، وعاش مئةً وعشرين سنة، وصحب أبا عبد الله بن الجَلَّاء وطبقته[2].

---

(١) الذي في طبقات الصوفية ٣٧٠: مات سنة نيف وأربعين وثلاث مئة، وكذا في الرسالة القشيرية ١١١، ومناقب الأبرار ٢/ ٨١، ونقل ابن عساكر ٢٨/ ٢٧١ (مختصر تاريخ دمشق) عن السلمي: سمعت أبا الأزهر يقول: عاش أبو الخير مئة وعشرين سنة ومات سنة تسع وأربعين وثلاث مئة أو قريباً منه، وانظر تاريخ الإسلام ٧/ ٩٢٠، والسير ١٦/ ٢٣، وأورد ترجمته ابن الجوزي في المنتظم ١٤/ ٩٦ في وفيات سنة ٣٤٣ هـ.

(٢) بعدها في (ف م ١): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.